الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 25

منزلة الخشوع

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه، ومن اهتدى بهديه واستنى بسنته، واستقام على شرعه الى يوم الجمع الدين اخر منزلة في المجلد الاول، من منازل اياك نعبد واياك نستعين، هي لب المنازل، وروح الاعمال هي لا تتعلق بصورة الاعمال لكنها تتعلق بروح الاعمال، انها منزلة الخشوع، والخشوع يربطه بعض بالصلاة فما ذكرت الصلاة الا وذكر الخشوع، وما ذكر الخشوع الا وذكرت الصلاة، غير ان هذه المنزلة تتعلق بقلب وبسكونه الى ربه، واستسلامه لاوامر الله عز وجل خاشعة، الخشوع في اللغة السكون والترفق والطمأنينة، والخفض ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ خشعت يعني سكن فسكون القلب في كل المقامات والاحوال، لله عز وجل هو الخشوع، ابن القيم رحمه الله قدم بين يدي منازل الهروي التي اسماها الهروي اصلا بمنازل السائلين، بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، مقدمة لطيفة وختم منزلة الخشوع بمسألة فقهية، بدأها قدم لها ابن القيم بقول الله عز وجل ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وفي الاية دليل على ان الخشوع محله القلب.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فالخشوع اصلا ومحله في القلب، هذه الاية يقول فيها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول كان ما بين اسلامنا وبين عتابنا بهذه الاية اربع سنوات، يعني بعد اسلامهم وبعد اربع سنوات قال الله عز وجل لهم ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني

ابن عباس في تفسيره يقول هذه الاية قال ان الله استبطأ قلوب المؤمنين، يعني رأى ان قلوب المؤمنين في اقبالها عليه بطيئة، استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة، قائلا ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وكأن الاية تقول بعد ان اسلمت كان ينبغي ان يظهر هذا لعموم المؤمنين ان يظهر اثر الخشوع على قلوبكم، ولكن كما في الاية نفسها ان مما يصرف القلب عن الخشوع طول الامد، الامد هي عند ابن مسعود اربع سنوات، وعند ابن عباس ثلاث عشرة سنة، والمعنى طول الامر الانسان اذا استمرأ شيء وسار فيه ينسى او يكون بذلك قد بعد عهده عن الاستقامة، وهذا الفتور الذي يصيب القلوب يشعر الواحد انه في بدايات الطلب يقبل باقبال شديد بقلبه في ايام الاستقام الاولى فما زال اثر التوبة على قلبه.

فهو يبكي لاقل شيء، رقيق القلب، قريب الدمعة، حاضر الفكر والذهن، في اقباله على الله عز وجل، يذكر ويجد حلاوة ذكري، وينادي ويجد حلاوة المناجاة، تمر عليه ايام وتطول عليه السنين ويطول عليه الامد، لم يحصل شيء من امر الاخرة، فيصيب القلب شيء من التدهور، والفتور ولكل عابد شره، والشره هو الاقبال الشديد على الشيء، ولكل شرة فترة يصيب الفتور كل الناس عموما، طول الامد، عشان كده قال ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ طول الامد او قل طول الامل، يقسي القلب، المطلوب من الخشوع هو الخضوع والذل الكامل لله عز وجل، ولا شك ان له بواعثة واسباب ومحركات تحرك القلب نحو الخشوع، تجد تعريفات العلماء من علماء السلوك والتربية في الاسلام، يتحدثون عن الخشوع تعريفا ولكنك تشعر من خلال التعريف بالنتيجة والاثر، يعني كانهم يتحدثون من خلال التعريف ايضا عن ثمرة هذا الخشوع، لكن عموما يطلق على السكون حتى المولى سبحانه وتعالى يقول ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ اي ساكنة وخشعت الاصوات معناها الاصوات سكنت هذا في اللغة اما في الاصطلاح فمثلا الخشوع يقول ابن القيم هو الانقياد للحق.

وهذا صحيح لكن يبدو من هذا التعريف ان هذا ثمرة ثمرة الخشوع الانقياد للحق، وابن القيم نفسه يقول هذا من موجبات الخشوع، ويا اخوان الاخلاق في الاسلام سلسلة، هذا شيء عجيب في الدين، الاخلاق في الاسلام سلسلة، يربط بعضها بعضا، يعني قل ان تجد رحيم الا وهو كريم، لان كل صفة توجب الاخرى، وقل ان تجد كريم بغير حياء، لان الحياء يحركه، عرفته؟ ان تجد امين يكذب، لان الامانة صدق في الفعل، صدق في الفعل، فاذا كذب فارق الامانة، فالصدق يوجب الامانة، لا تجد دائما، الصادق يوصف بشنو؟ الصادق الامين، لان الصدق يوجبه، ولذلك في حديث ابن ماجة يقول صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يهلك

عبدا نزع منه الحياء، هذا هلاك ليه؟ قال فاذا نزع منه الحياء لم تلقه، الا مقيتا ممقتا، مقيت وممقت، يعني مكروه من النفس، فان لم تلقه الا ممقتا نزعت منه الامانة، زول ما عنده حياء ما يبقى عنده امانة، قال فاذا نزعت منه الامانة لم تلقه الا خائنا مخونا، فان لم تلقه الا مخونا نزعت منه الرحمة، فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعونا.

فان لم تلقه الا رجيما ملعونا فقد خلع رفقة الاسلام من عنقه، رواه ابن ماجة وقاله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، ولذلك الانقياد للحق ابتداء اذا شخص ما خاشع ولكنه ينقاد للحق، سوف يخشع، الانقياد للحق سوف يجعله خاشعة، ولو انه دفعه ايضا الخشوع لان ينقاد للحق، وقال ابن القيم الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالتذلل والخضوع، قيام القلب، وابن القيم رحمه الله تعالى من لطائفه في باب الرقائق مع سلفيته وتحريه لعدم القول بان البدع تزكي النفوس اخوانا بعض الناس يريد ان يكون عرفت؟ يكون قريب الى الله، ماذا يفعل؟ تحبب لهم الخلوات، يطلع الخلا، ويمشوا بمغارة ويتقشفوا، ويلبس اللبس المقطع او المرقع، ويظن ان هذا يقربه الى الله، هذا لا يقرب الى الله، لذلك ابن الجوزي رحمه الله تعالى في صيد الخاطر يقول رحمه الله يقول وانك لتجد بعض الناس يظن ان ترك الطيبات التي يقوى البدن على الطاعة وعلى الجهاد وعلى الذرية وعلى التربية وعلى ذلك الطيبات تركها من الدين قال من كان واقعه الجوع هذا يؤمر بالرضا، ولكن الجوع لا يسعى له ابتداء، يعني الزول لو جاع يقول له الرسول كان بيربط الحجر وكان يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال.

تسلية له، لكن ما تقولي انا ما داير وينوم جعان هذا يحاسبه الله عن حق البدن عرفته وقس على ذلك بدأ يحكي رحمه الله تعالى مثل هذا الكلام حتى قال ان بعض العلماء ممن عرف عنهم العلم كان يقول نحن لا نتعلم، العلم يشغلنا عن الله، فماذا فعل؟ قال دفن الكتب، ونقلوا في ذلك عن بشر الحافي وعن يوسف بن اسباط انهم ارادوا ان يزكوا النفوس، فذهبوا فدفن يوسف اسباط كتب كثيرة جدا امام النيل، وجاء النيل في فيضانه فغرقها، قال ابن الجوزي سألت احد اشياخي عن ذلك فسكت، قلت له يا اخي بعض الناس يفعل هذا الكلام، قال فسكت، قال وتأويلي انا انه اذا دفن الكتب لما فيها من اراء واقوال قد تضل كان صاحبه ممدوحا، اما اذا دفن الكتب النافعة فان في ذلك اضاعة مال، اضاعة مال ولا يتعبد الله الا بالعلم، واقرب الطرق التي توصل الى الله العلم ولذلك انما يخشى الله اذا قلنا ان التزكية والتقوى ومخافة الله رأس الامر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ هم اهل الخشية واهل الانابة، وكذلك في صحيح مسلم قال عمر ابن عبد العزيز من عبد الله بجهل لم يزدد من الله الا بعدا.

طبعا احنا عندنا هنا في السودان الخضر عليه السلام، بيجي يحوم في السودان، بعدين بيحوم وهو لابس مقطع، وبيشرب من السبيل من الزير ده كلام خرافة لانه الخضر عليه السلام كان موجود لابد ان يكون له دور في امة الاسلام، في الفلوجة ما ظهر، وما شفناه في افغانستان ولا في فلسطين، ولا في دارفور دي ما جا، الخلافات اللي احنا فيها دي ناس يقولوا القباب في وناس يقولوا قباب ما في وناس يقولوا توسلوا بالصالحين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ والخضر قبل النبي عليه الصلاة والسلام وقد وصف بالبشرية ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ ولم يظهر الخضر مبايعا لرسول الله صلى عليه وسلم ويجب عليه ذلك لو انه كان حيا، لان الله اخذ من النبيين ميثاقهم ان يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يظهر الخضر لا في بدر ولا في احد ولا يوم الخندق والاحزاب، وللمظهر في فتوحات الاسلام، بص الخضر بيجيني في السودان هنا بس، ها؟

بس بيجي في السودان بس، فانا اقول هذه من الخرافات، هذه النواحي تدل على ان منهج السلف في التزكية منهج لطيف، لكن ابن القيم يحاول ان من المنهج الصوفي ما يفيد، وهذا من عدله وانصافه، فان بعض العبارات المشكلة في المدارك المبهمة، يحاول ابن القيم ان يخرجها على احسن التخريب، بما يوافق الاصول كتابا وسنة وهذا جيد، ثم انه استفاد من الالفاظ الرقيقة الموجودة في بعض الادبيات عند الصوفية، واستطاع ان يستفيد منها، اما في اصول الافكار المنحرفة فابن القيم رحمه الله تعالى ما اخذ بها، فقوله ان القلب هذا من التعبير اللطيف حتى وانه كان يقول في بعض المواطن الفوائت او مفتاح دار السعادة كان يقول بان القلب له سجود كما ان للجوارح سجود، وفي اخر منازل اياك نعبد واياك نستعين في المجلد الثالث، الحمد لله الان نحن يعني قد فرغنا من شنو؟ من الجدد الاول، ثلث الكتاب، في اخر الكتاب يتكلم عن معاني الوضوء وان اجل معنى في الوضوء ان يتوضأ القلب كما ان الجوارح تتوضأ، وذلك بنظافتها واقبالها وطهارتها وتجليتها وتجريدها عن الحظوظ اقبالا على الله عز وجل.

فهو ان للقلب سجود كما ان للجوارح سجود، غير انه يقول غير ان القلب اذا سجد لا يرفع من سجوده الى يوم القيامة، وهذا هو الفرق بين سجود القلب بين سجود القلب وبين سجود الجوارح، القلب اذا سجد لا يرفع من سجوده الى يوم القيامة، فهذا الخشوع، يقول ابن القيم ومن علاماته اي من علامات الخشوع ان العبد اذا خولف ورد الى الحق ورد عليه الحق، استقبل ذلك بالقبول والانقياد، وهذه صفة طيبة، وهي موجب من موجبات الخشوع الخاشع اصلا لانه ساكن لله، هو يحاول ان حتى اذا خالف الحق، ونبه وبين له سرعان ما يرجف، وذلك لخشوع تملك قلبه، ولذلك هذا يوجب ان الخشوع قرين قرين الاخلاص، بمعنى

الخشوع؟ اخلاص ليه؟ الرجوع الى الحق يحتاج الى اخلاص، شخص بين له الحق، ولم يرجع هذا تأكد انه اما ينظر الى الناس واما انه يلتفت الى نفسه واما انه كذا، يمنعه هذا من الرجوع الى الحق، اما المخلص لله والذي يقصد الله ويريده والدار الاخرة ويريد وجهه لا يهمه ان الناس عنه انه رجع او قالوا او طعنوا فيه لانه رجع او سخروا منه لانه رجع لانه لا يعامل الخلق انما يعامل الخالق.

وهذا ايضا معنى لطيف جدا من معاني الخشوع، ويقول ايضا الخشوع خمود الشهوة للشهوة نيران واثر بالغ جدا بالمناسبة الشهوات بالنسبة للشباب خطرة جدا لذلك وانا اعطيك مثال الشهوة قال ابن القيم اراد الله عز وجل بالشهوة قال الشهوة اصلا لا توصف لا ولا بذنب، لانها تقول الشهوة سيئة ولا تقول الشهوة شنو؟ طيبة، فان من الشهوة شهوة، ركبها الله في الانسان ليقوده بسلسلة الشهوة الى اعمار الكون، انجاب الذرية لا يتم الا بشهوة، فسبحان الذي نزه نفسه عن الصاحبة واودع في القلوب الشهوة ضعفا، شيء عجيب ايوة هذه الشهوة ماشي في الشارع ملتزم ومستقيم وصلي في المسجد، جاء امرأة واحس بها ربما ينظر يرفع بصره وينظر اليها وهو لا يريد ولكن سلطان الشهوة في النفس قوي لذلك يقهره هذا صحيح يعني، حتى قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في ذلك في ذم الهوى، قال وبعض الناس يتطلع الى النساء، ولو انه نظر الى نساء الدنيا جميعا، وبقيت واحدة لنظر اليها لتكون اجمل من اللائي رآهن، واذا تغطت عنه المرأة ازداد هيمانه وتطلعه لرؤيتها، ولذلك تجد الشهوة لما تحصل فتنة للشباب الحرام اصلا وهذا صحيح.

قد يكون الانسان متزوج بجميلة ولكنه لا تفتنه الا امرأة شارع والسبب المرأة عورة، حديث الترمذي اذا خرجت استشرفها يعني زينها الشيطان، استشرفها، عرفت؟ ولذلك الشهوة تسكر اذا رأى احدكم امرأة لا تحل له، قال فليأتي اهله، فانه له اسكن، يعني اسكن لشهوته، وسكون دخان الصدور، واشراق نور التعظيم في القلب، وهذا ايضا من الخشوع، او ممكن ان يكون هذا اثر من اثار الخشوع، الخشوع محله القلب، ما في ذلك شك، الله صلى الله عليه وسلم رجلا في صلاته يعبث بلحيته، وبثيابه قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، لو خشع قلبه لخشعت شنو؟ جوارحه، غير ان ابن القيم يقول بعض الكلام في هذا الموضع وبعضه في مواطن او مواضع اخرى او من كتب او في بعض كتبه، يقول رحمه الله تعالى الاداب رشح المعارف، الاداب رشح المعارف، ما معنى هذا الكلام؟ الاداب رشح المعارف، من قدح في ذهن الشخص من علم ومعرفة بالله، يظهر ذلك ادبا، الاداب ما هو الرشح؟

الاداب هي رشح المعارف، يعني المعارف هي التي تنضح بالاداب، الاداب رشح المعارف، وعنوان الظواهر دلالة البواطن، وعنوان الظواهر، الشيء الذي في الظاهر سببه ما كان في شنو؟ في البواقي، مع هذا المعنى ربطه ابن القيم نعم الخشوع في القلب، ولكن لابد ان يظهر له على الجوارح اثر، قال ابن القيم وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يقولون اياكم وخشوع النفاق، قيل وما خشوع النفاق؟ قال ان ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر رضي الله عنه رجل في الخشوع ويطأطأ رقبة قال يا صاحب الرقبة ارفع الرقبة ان الخشوع ليس في الرقاب، الخشوع ليس محله الرقاب، انما مكانه القلب، ولما رأت عائشة رضي الله تعالى عنها بعض الشباب يتمايل ويمشي بشيء من التماوت قالت ما هو من هؤلاء؟ قالوا نساء قالت كان عمر رضي الله عنه اذا ضرب اودعه واذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا اطعم اشبع وكان هو الناسك، فهذا فيه انه الخشوع لا يتصنع له، وكان حذيفة رضي الله عنه ابن اليمان يقول اول ما تفق من دينكم الخشوع، هذا صحيح، وتكلم عن اخر الزمان انك تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعا.

في اخر الزمان يصادف تخش جامع كامل مليان، ما احتج له يزور واحد خاشع، يا اخي هذا شيء عجيب، هذه مقدمة ابن القيم نبدأ في كلام الهروي، بصرح ابن القيم له وما يظهر لنا من معاني فيه، يقول صاحب المنازل هو من؟ الهروي، رحمه الله تعالى، الخشوع خمود النفس وخمود الطباع، لمتعاظم او نفزع، او ممكن يكون مفزع بالفاعل ومفزع على اسم المفعول بمعنى لو قلنا انه ما هو اكثر شيء يعيق الخشوع؟ كل جالس منا يروم سبيلا وطريقا للخشوع لو قلنا ما هو اكثر شيء يعيق في تقديري الطبيعة طبيعة الانسان ونفسه، اخطر شيء يعيق الانسان نفسه، ونعوذ بالله من شرور انفسنا، النفس خطرة، ولذلك جاء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو انه كان لاحدكم صاحبا ان اطعمتموه، وكسوتموه واكرمتموه افضى بكم الى شر غاية، وان اجعتمو وعريتموه واهنتموه افضى بكم الى احسن غاية، قالوا بئس الصاحب يا رسول الله، قال هي نفوسكم التي بين جنوبكم، يعني لو في زول انت بتكرمه، هذه هي النفس كلما انك ركنت اليها كلما كان هذا باب من ابواب الهلاك عياذا بالله.

فالمصدوم هنا هو النفس، ابن الجوزي يرى ان الامر بالخير يحتاج الى مجاهدة، فعله لا يحتاج الى مجاهدة، ولكن النهي عن الشر يحتاج الى مجاهدة اكبر، وشبه ذلك بماء، قال ان الماء اذا انحدر من اعلى، سال ولا يحتاج الى من يدفعه، ولكن ما اذا رفع من اسفل الى اعلى يحتاج الى من يرفعه، والسبب؟ وذلك كالنفس، النفس اصلا طبعها ان تميل الى الشهوة، وان تنحدر نحو الشهوة، لا تستطيع ان تقول لانسان يعني نم يعني نوم كثيف لماذا؟ لكن قلت له قم ذاكر استذكر الدروس في الامتحانات هذا صعب صلاة الفجر كونه زول ينوم

اسهل شيء ان يقوم في وقت الفجر ويصلي هذا يحتاج الى مجاهدة، النوم هو جزء من طبع النفس، ومن خمودها وخمولها، قوة النفس المتعاظمة، والطبع والميل الى ذلك هو مما يعيق الخشوع، والخشوع هو خمود النفس، وهمود همد يعني شنو؟ سكن همد، فهمود الطباع اخواننا لان الطباع اصلا مش رائبة الى شر، همود الطباع هو الخشوع، لشيء عظيم، ولذلك مما يعين على الخشوع الهيبة، يعني مما يقارن الخشوع الهيبة، كلما عظمت، هيبة الشيء في نفسك كلما خشعت له.

عرفت؟ وايضا المفزع الشيء المفزع الشيء المخيف، قد تخشى له شنو؟ قد تخشع له، طيب يقول هو ابن القيم لكنه يرى ان الخشوع يلتئم مع الهيبة والتعظ والمحبة والذل والانكسار، الخائف اذا خاف واصابه انكسار وذل خشع، والمعظم للشيء اذا اصاب قلبه هول الشيء وعظمه، واحبه ايضا يخشع هذا مما يعني ما يقارنه، يقول الهروي هو على ثلاث درجات، الدرجة الاولى التذلل للامر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق، طيب هذا الكلام معناه التذلل للامر ان يأخذ بالامر وان يسلم به دون تردد، وان لا يعارض اوامر الله لا بذوق ولا قياس ولا سياسة ولا رأي ولا تقليد، هذا التذلل شنو؟ للامر، ويعني بصورة اوضح، مواطئة الظاهر للباطن، والتذلل الامر اهم شي انك تأتي الامر ملتمسا فيه الهداية، ان تأتي الامر من الاوامر الربانية وان تلتمس في شنو؟ الهداية، من الاشكالات عند الناس؟ عدم التفريق بين مفهوم الاستحباب وبين فعل الاستحباب بمعنى لمجرد ان تقول هذا امر مستحب هو سبب من اسباب التزهيد في الامر وهذا خطأ تقول ما واجب لكن مستحب يعني اذا قيل ان هذا الامر مستحب كان مزهدا في الامر.

وانما قيل مستحب ليكون شنو؟ مشجعا، والمستحب مستحب عند من؟ عند الله عز وجل؟ اليس هذا بامر؟ يتذلل له؟ فيدخل في ذلك كل الاوامر، لكن ليس على سبيل الالزام، انما على سبيل التخفيف، يعني الاستحباب على سبيل التخفيف للناس، لكن لا يعني ان يزهد الناس في الامر المستحب ثم يقول الاستسلام للحكم ويقصد بذلك العلامة الهروي الاستسلام للحكم يقول ابن القيم قد يراد بذلك الحكم الديني الشرعي وقد يراد به الحكم الكوني بمعنى ان يستسلم للحكم الشرعي فلا يعارض الحكم لا بشهوة ولا بشبهة الشهر الثاني في فصله في الملل والنحل في بداية الكتاب تقريبا صفحة ستطعشر قال الله تعالى شيء عجيب، قال واول من عارض الامر بالرأي ابليس، قال ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ كويس؟ واول من بدأ القياس وليس القياس الصحيح لان القياس الصحيح امر الشارع به الشارع به فقال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يعني قيسوا انما القياس الفاسد وهذا قياس فاسد قال ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ هو يظن ان النار افضل من شنو؟

من الطين، وعند التحقيق الطين افضل، اول شيء الطين من صفتها السكون، والرزان والطيش، وفي الطين اعمار، كيف؟ البناء بالطين، والاكل، بيزرعوه في الطين، والنار تأكل ما زرع، وتهدم والطين من صفتها التواضع والنار الكبر، دائما ترى النار شنو؟ تروم اعلى، وترمي بشنو؟ بشرف، وابليس اتي من هذا الباب، انه رد الحكم الشرعي لامر بدا له فعارض الامر فعارض الحكم الشرعي بشنو؟ بشهوة وبشنو؟ وبشهوة ولكن هنا فرق لطيف التذلل للامر والاستسلام حكم في فرق بين الامر وبين الحكم؟ الامر قاعدة الحكم، بعد ان يؤمر به، ففي بدايته كامر يحتاج الى، التهيؤ، وبعد ان يصير حكما يحتاج الى التزام، ان تلتزم وان تستسلم شنو؟ وان تستسلم له، كويس؟ والصواب الاستسلام للحكم شنو؟ الشرعي، الله قال لك خلاص يعني الكلام انتهى، الرسول عليه الصلاة والسلام قال الكلام انتهى، ما تقول لكن انا ارى وانا اعتقد وانا افتكر ولو الموضوع كان بيجي كذا كان بيكون احسن؟

اي زول يقول لك يا شيخنا كذا وشوف لنا اكيد فينا مخارجة يا اخي شوف لنا مخارجة للموضوع شوف لك مخارجة كيف يعني؟ اقطع لك شيل من راسي كويس بعدين في ناس يعني واحد يجيك داير شي كان ما افتيت كما يريد هو لكن ضد ما عنده ها؟ لما يوافق الاهواء اعوذ بالله، اعوذ بالله، كويس؟ طيب، فقال الحكم الديني الشرعي، والحكم القدري او الكون القدري ايضا ان تستسلم لما قضاه الله عز وجل عليك وقدره، في امور حياتك فتستسلم لله استسلاما كاملا، وانت تعلم ان الله عز وجل يريد لك الخير، كويس؟ مثلا يريد زوجها طلاقها، يعني الزوجة ذا شنو؟ يطلقها، هي ترى انه لو طلقت خرب البيت، وعلينا ان نسعى ان لا يقع الطلاق، درؤه، ولكن اذا وقع، عليها ان تستسلم والاستسلام ان تعلم ان هذا خير، ان هذا شنو؟ خير، كيف؟ تقول؟ احسن منه، خير ولا ما خير؟

كويس؟ وامكن الله ما يدي احسن منه، برضو تتعب وتشقى بدون زوج وتصبح مطلقة وتعاني لترفع درجاتها وتدخل الجنة بهذا الامر ويوم القيامة تقول الحمد لله انه انا طلقت والحمد لله انه ما تزوجت بعدي بعد ما طلقت الخير لا يعلمه الا وجل عشان كذا قال عليه الصلاة والسلام والشر ليس اليك لان اقدار الله وان بدت للانسان انها شر فالشر كما قال ابن القيم في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليم والشر في مفعولاته وليس في افعاله، الناس بيعشق واحد بيقتل زول شر ولا ما شر؟ خلقهم وشنو؟ واعمالهم، لكن هذا فيه حكمة، فعله لخلق العباد، على هذا التباين الموجود بين الناس والسعي الشتى الموجود، هذا

لحكمة الابتلاء والاختبار والمدافعة والتمحيص، والجنة والنار، كل هذا في الفعل على حكمة تامة سبحانه وتعالى، ولكن المفعولات؟ قد يحصل منها الشر، طيب، قال والاتضاع للحق، يا سلام! الاتضاع لنظر الحق، الحق هو الله عز وجل هنا، يعني يراد به هو الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل وصف نفسه بانه شنو؟

بانه الحق، لنظر الحق، قال الاضطباع معناه الا ينكسر لنظر الله له وهو طائع لماذا؟ هذه لطيفة عجيبة جدا، لان الله يطلع على قلبك، سبحان الله، يعني انت تفعل الفعل، وظاهره طيب، وانه على استقامة تامة وانت مخلص حتى الاخلاص لو ان فيه بعضا قوادحه مما لا تدركها انت ولا يدركها من حولك او ممن هم حولك فان ربك على كل شيء سبحانه، لكن فعل الخير هذا اوجب له شيء من شنو؟ من الخشوع الشديد ليه؟ لانه يعلم ان الله اطلع على قلبه، ومهما استقام القلب فلا شك انه باعتبار الضعف الطبيعة والجبلة البشرية والانسانية لابد ان يكون في الانسان شنو؟ ان يكون في الانسان بعض الضعف، نعم، فالله عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هذا يوجب للعبد اتضاع بنظر الحق واطلاعه سبحانه على قلب شنو؟ على قلب العبد، سبحان الله، يا اخوان سبحان الله انت قد يعني تفعل الشيء، الناس اللي حولك كله يقسموا انه العمل ده مخلص وانك انت زول كويس، لكن والله لا يعلم، حقيقة كل نفس الا الذي برأها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ سبحانه وتعالى، هنا اية تناسب مقام الاتضاع بنظرية الحق، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ وخاف مقام ربه تحتمل التفسير الاول خاف مقام ربه بان بقدرته الكاملة وعلمه التام قد اطلع على ما في قلبك وانت تخاف مقام الله في هذا الباب، مقام الله اي نظر الله لقلبك ونظر الله لك، هذا من خاف هذا المقام وخشيه اوجب هذا له خشوعا، يقول ربي ربي كذا هذا يوجب له خشوع فلا يتصنع ولا، الامر الثاني مقام ربه واما من خاف مقام ربه اي خاف مقام لقاء الله يوم القيامة، وهذا مقام العبد يغشاه ويخافه، فاذا تذكر لقاءه لله، اوجب له محاربة للهوى، طيب، الدرجة الثانية طبعا قلنا ان الدرجات عند الهرم كم؟ ثلاث، الدرجة الثانية من درجات الخشوع ترقب افات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، والتسلم نسيم الفناء، طيب ترقب افات النفس والعمل يخشع الانسان اذا راجع عيوب نفسه وعيوب العمل، طيب ما هي العيوب؟

الكبر، العجب، الرياء ضعف الصدق، قلة اليقين، ان تعمل العمل وانت مستيقن بالاجر الذي في العمل، طيب تشتت النية العمل لله لكن النية مشتتة، الهوى النفساني، الهوى النفساني يعني الانسان يكون عنده هوا خفي جدا يعني مثلا شخص يستمع الى انسان مجرد استماع يستمع اليه من وجهة نظر هو يستمع اليه وعنده رأي في الشخص ويستمع اليه، طيب، اذا قال مقالة الشخص وسئلت عنها لانك قال شنو؟ الهوى النفساني يدفعك الى ان تصيغ القول قول القائل على شنو؟ على حسب ما تريده وتهواه، وقد يقول كلام محتمل، الخطأ وسط انت تحمله على الخطأ لان هذا هو شنو؟ هواك شنو؟ هواك النفساني، شوف الشيء هذا، ولذلك الهوى النفس وبالجملة عدم ايقاع العمل هذه افات العمل عدم ايقاع العمل على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل، عرفت؟ هذه اشكالات والانسان كلما نظر الى عيوب نفسه وافات عمله كل ما كان هذا يعني ادعى لاستدعاء الخشوع الى القلب تستدعي الخشوع تناديه تجره تجيبه لشنو؟

للقلب ترقب افات النفس والعمل اي انتظار افات النفس وافات العمل لكن هنالك خطورة بعض الناس كما قال ابن القيم العمل الصالح يوجب فيه عجبا وكبرا، وان كان خفيا كبر خفي، وشوف دائما العبادة فائدتها انها تفضي الى الخشوع والى التذلل والى التواضع، فاذا اوجبت او حصل ضدها كان في العمل وفي النفس خلل مش في العمل كعمل، عمل ليس خالص لله عز وجل، العمل في ظاهره صحيح، فمثلا قيام الليل عمل صالح، ولكن من قام الليل ولم يستفد من ذلك الا عن الخلق تعاليا وكبرا، هذا اشكال وهذا سوف نعرفه يعني بعد قليل في النقطة الثانية، قال ورؤيته كل ذي فضل عليك، اولا الا ترى ما اعطاك العباد اياه انه من حقك، يعني مثلا الناس اكرموك، تقول اصلا هم المفروض يكرموني، احترموك تقولوا ما عملوا حاجة، صح ولا ما صح؟ كان منصور ابن المعتمر رحمه الله تعالى، يقول اذا قدم الي رجل كوب ماء كأنما دق ضلعا من اضلاعه كباية موية قال كأنما دق شنو؟

ضلعا من شنو؟ من اضلاعه بل كان هكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، انه كان يكافئ وقاعدته الشرعية من لا يشكر الناس لا يشكر الله، هذا صحيح، لان من فيه هذا النفس في التعامل مع الناس هو نفس اخلاقي نفس انساني، يعني يعامل الخلق اصحابه باعتبار انهم بشر، ولهم كرامة، فاذا خدمه خادم يقول له يا ربيعة لقد خدمتني، واني اريد ان اكافئك، ما قال اصله لازم يخدمونا، مفروض هم زاتهم يخدمونا اصلا ما في طريق الا يخدمونا ما قال كذا ما قال انا قاعد مفروض يخدموني قال اريد ان اكافئك وهذا يدل على الاحساس

النبيل هذا احساس شنو؟ نبيل جدا بالمناسبة منه عليه الصلاة والسلام، فهو ابن تيمية يقول في هذه الجزئية ولا ترى، لنفسك على الاخرين حقا ولا فضلا، ابن تيمية قال شنو؟ قال العارف لا يرى له على احد حقه، العارف لا يرى له على احد شنو؟

حقه، شوف السلف عندهم فقه عجيب، ابن قدامة المقدسي، قال شيء عجيب، قال لو ان معلما علم طلابه لكان حق الطلاب عليه اكبر من حقه عليهم، في زول بيقري الناس، قال بيدرس ليه؟ قال لان وهبك عقله وقلبه وهذا لا ثمن له، وثق فيك سلمك فكره لتشكله، وقلبه لتصيغه وكن خير فيه، هذا معناه انه صاحب فضل ويد عليك، وهذي الدرجة ولذلك علي ابن الحسين ابن علي لما جاءه السائل وسأله اعطاه وقبله، قالوا انت صاحب الفضل عليك؟ قال لا، انه يحمل لي وعني حسناتي يلقاني بها يوم القيامة، هذا الفهم قال ابن القيم ابن تيمية العارف لا يرى له على احد حقه ولا يشهد له على غيره فضلا ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب ولا يضارب شيء عجيب بالمستوى ده في السودان ده؟ نعم العارف لا يرى على احد حقه، ولا يشهد له على غيره فضلا، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب، ابن القيم عقد مقارنة من الطف، المقارنات من الاحاديث، يقول رجل عابد، كثير القراءة للقرآن العبادة قامت بالظاهر ولكن شوف الكلام ده في ركن وفي زاوية بعيد من زوايا القلب؟

قام نوع من الكبر والعتب، افضى به الى الهلاك، ذو الخويصر التيمي، اتى غائر العينين، من كثرة البكاء، بكاء من شنو؟ بكاء من القرآن غائر العينين نافئ الجبهة كويس؟ اتى يحقر احدكم صلاته الى صلاتهم، وصيامه الى صيامهم عباد ولا ما عباد؟ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لانه اذا وصل الى درجة من هذا ينظر الى الاخرين بعين الاحتقار والنقيصة فلا يسمع ولا يجيب، ويحتقرهم لعصيانهم ويرى ان له افضل منهم حالة شوفوا الحالة دي قال يمرقون من الدين كما ينقصون الرمية فشوف المقارنة الثانية قال واتى رجل كثير السكر يجلد ويقام عليه الحد يلقب بحمار حديث في البخاري، كان مع شربه للخمر يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدخل السرور على قلبه ويضاحكه، بضحك الرسول، العابد الصوام القوام ادخل الحزن على قلب رسول الله واساء اليه وطعن في عدله، اعدل فانك لم تعدل، واوجب له هذا نوع من الجرأة، والله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله، جرأة اصلا ما عادية، السكر مع ما عنده من السكر اوجب له شيء من السكون، ولم يتعالى ولم تحصل له نفرة.

وكان قريب يضاحكه، ويمازحه، قال النبي في العابد يحقر احدكم صلاته الى صلاته، ويمرقون من كما يمرق السهو من الرمية ولئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وشر قتلى تحت اديم السماء وكلاب اهل النار، مع ما عندهم من عبادة، الخوارج مناسبة عندهم جلد على العبادة وصبر، حتى على القتال، وشجاعة فائقة عبد الرحمن ابن مرجم الخارج الذي قتل عليا لما عذب ما تأفف ولا توجع ولا تأخر قال اخ ولا قال كذا ارادوا ان يقطعوا لسانه فتكلم، قال دعوا لي لساني وجعل يبكي، قالوا ما يبكيك؟ قال اخشى ان اتعطل عن ذكر الله ساعة، ما دار يجنب بدون ذكر الله، وعمران ابن حطان شاعر قال مادحا عبد الرحمن ابن ملجم على قتله علي رضي الله عنه يا ضربة من تقي ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانه، اني لاذكره يوما فاحسبه اوفى البرية عند الله قال اكتر بحسنات يوم القيامة من قتل علي بن ابي طالب، وفي السلسلة الصحيحة قال عليه الصلاة والسلام يا علي اشقى الاولين عاقر الناقة، قدر ابن سالف وانه كان رجل عظيما في قومه كزمعة.

كويس واثقل الاخرين مخضب لحيتك بالدم وقد فعلها عبد الرحمن بن ملجم اشقى شوف اشقى واما الذي يلقب بحماره وكان يشرب خمر ويضرب ويجلد اقيم على الحد ثم يأتي ويشرب ثانيته، في النهاية مع هذا قالوا لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به ولا يتوب، قال لا تلعنوه، فوالذي نفسي بيده انه يحب الله ورسوله، ابن القيم عقد مقارنة بين؟ فعبادة الظاهر التي تكون صورة بلا قلب حي فيه من الخشوع والسكون والاقبال والذل والانكسار لله عز وجل هذه عبادة لا تفيد صاحبها انما تخرج به الى الغرور ثم الى الخروج عن حد الاعتدال كما خرج بذلك الخوارج، اما تسنم نسيم الفناء الفناء تكلمنا في كثير من المنازل عن الفناء المعني هنا، ان ابن القيم وجهه الى الفناء بمفهومه الذي ليس فيه لبس، الفناء الذي يقول انه لا فوارق ولا فواصل بين الخالق والمخلوق هذا كفر، اعوذ بالله، الرب عبد والعبد رب، فهذا كفر؟

اعوذ بالله، اما الفناء هذا الحلاج، نعم، كويس؟ وما الكلب والخنزير الا الهنا؟ وهذا ايضا درب من دروب الكفر، وما الله الا راهب في كنيسته، اعوذ بالله، شفت كيف؟ اما الفناء المعني هنا ان يفعل الانسان العمل والا ينظر الى هذا العمل وانه كانه لم يعمله، وذلك بنظره الى الله ورجائه في ثواب الله وهو يفنى بان الله وفقه لانه يرى الله وفقه لا ينظر الى العمل الذي شنو؟ عمله، الدرجة الثالثة والاخيرة قال حفظ الحرمة عند المكاشفة، ويراد بهذا الحرمة عند المكاشف الانسان اذا وصل درجة من العبادة قد يتعامل بشيء من الانبساط، يقول له خلاص انا الله ثاني ما بيعذبني، الله ثاني ما بسوي لي، الله ثاني بسوق لي، بنوع من التدلل الدلال، فعليه الخشوع هو حفظ الحرمة عند المكاشفة، لان درجة من التقوى وشعرت انك انت بقيت زول

كويس وبقيت ما تعمل معاصي اياك ان تذل بهذا فيؤدي هذا الى امر مكر الله سبحانه وتصفية الوقت من مراة الخلق والمراد هنا معنى اعمق، تصفية الوقت من مراة الخلق يعني يحفظ حاله مع الله، يعني عنده لذة، له اقبال.

له خشوع، له اخلاص، له ورع، له كذا، يحاول ان لا يطلع العباد على حاله، كويس؟ وتجريد رؤية الفضل، يعني ان يرى ان الفضل والاحسان من الله عز وجل، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ولو تأملت منهج الانبياء والرسل واهل الصلاح تجد انهم ينسبون الفضل الى الله ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ ارجاع الفضل الى الله هو طريق الرسل والصالحين، وهذا مقام التأدب مع الله سبحانه وتعالى، طيب ختم ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الكتاب بفصل من عنده حول مسألة فقهية وهي الصلاة امتدح الله عز وجل من خشع فيها بقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ طيب قال اذا فقد القلب الخشوع بالكلية بطلت الصلاة اجماعا، شخص صلى صلاة ما فيها اي شيء من الخش بطلت الصلاة والدليل حديث المسيء صلاته قال صلي فانك لم تصلي، فالخشوع اذا فقد بالكلية، طيب، لكن اذا غلب الخشوع على عدمه، وهل تعتد بهذه الصلاة؟

ايضا تعتد بهذه الصلاة اجماعا، ويكتب له من الصلاة بقدر ما وعى وعقل، حتى بعض الناس يبلغ من الصلاة عشرها، طيب ولكن ان كان فيها خشوع وغلب عليها عدم الخشوع، وهي احوال الحالة الاولى ان لا يكف فيها خشوع بالكلية الصلاة باطلة، ان يكون فيها شنو؟ خشوع ولكنه ليس بتام، فالصلاة شنو؟ صحيح اجماعا، اذا غلب عدم الخشوع مع وجود بعض الخشوع، ما الحكم في ذلك؟ كان بعض اصحاب الامام احمد، وابو حامد الغزالي لا بهذه الصلاة ويرون اعادة؟ الصلاة، وحاول ابن القيم رحمه الله تعالى ان يقارن بين اقوالهم، فالذين قالوا بانها لا يعتد بها، قالوا بانه الصلاة جارية تقدم لملك، الصلاة كجارية تقدم لشنو؟ لملك، فلو قدم للملك مقام الملك يقتضي جارية حسناء، قال فلو قدم للملك جارية شلاء، مشلولة، او عوراء لما قبلها، ومن صلى لله صلاة وقدمها وهي شلاء لا يقبلها الله عز وجل انه ملك، هذا يعني قوله وهنا اورد ابن القيم ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وفيها دليل على عدم قبول الصلاة، كيف؟

شو الدليل؟ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين عن صلاتهم تحتمل او يعني قال فيها ابن مسعود ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ عن وقتها عن شنو؟ وقتها تفسير مسعود والذين على صلاتهم الساغون حضور القلب وخشوعه وهذا تفسير بس وكلاهما مطلوب، طيب القائلين بعدم القبول بماذا استدلوا؟

شوف الدليل بتاعه، قالوا ايهما اكثر وجوبا؟ الوقت ولا الخشوع؟ ايهما اكثر وجوبا؟ في الصلاة، الوقت ولا الخشوع ليه؟ لان الوقت ليس مقصود لذاته، انما هو مقصود للعبادة، واما الخشوع فان المقصود لاشنو؟ لذلك شوف ابن القيم يقول شنو؟ والدليل على ذلك انه يمكن ان تجمع الصلوات، لفائدة الخشوع، تجمع الصلوات، المسافر يعمل شنو؟ ممكن يصلي الظهر وشنو؟ والعصر، والمغرب والعشاء، فجمع الصلوات دل على ان الخشوع اجل من، قال فاذا كان صاحب المضيع للصلاة وقتا مذموم، فكيف بمن اضاعها قلبا وحضورا؟ اما الذين قالوا ان الصلاة لا تبطل، قالوا ان هذا احكام الدنيا، في احكام طالما انه فيها خشوع طبعا يا اخوانا حتى الفقهاء الائمة الاربعة اختلفوا في مقدار الخشوع يعني متى يكون انسان خاشع مثلا في السجود؟

بمقدار ماذا؟ الراجح عند الجمهور بمقدار التسبيح مرة، بمقدار التسبيح شنو؟ مرة في الركوع؟ ما هو الحد الادنى مش الاعلى، الحد الادنى للخشوع، ما هو؟ استقرار الجوارح وشنو؟ وشنو الذكر؟ فهذا هم يتكلمون عن الحق شنو؟ عن الحد الادنى، فيقول انه ابن القيم يقول يحكم بصحة صلاة المنافق والمرائي، يحكم بصحة الصلاة شنو؟ المنافق وشنو؟ والمرائي، لكن في نهاية الامر الصلاة ظاهرا صحيحة، ولكنها في الباطن حقيقة قد لا يقبلها الله عز وجل هذا امر الاخرة لكن اذا اداها وفيها شيء من الخشوع البسيط ولو لم يكن غالبا؟ فان الصلاة صحيحة وابن القيم رجح هذا القول وهذا لا يعني ان يكتفي الناس بهذا الحد الادنى من شنو؟ من الخشوع ولكن ان يزيدوا، طبعا ده القول ده كويس يعني، لانه كان بالقول الاول ده صلاة كثير من الناس الله اعلم، ربنا يعني يتقبل منا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/25/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com